

دراسات في الحديث والمحدثين

[80] للصحابي تلك الحصانة التي تمنع من نقده وتجريحه. وقلما تخلو سورة من سور القرآن من التشهير بهم والتحذير من دسائسهم، وسميت سورة التوبة بالفاضة، كما جاء عن عبد الله بن عباس لأنها فضحتهم وكشفت عن واقعهم. وجاء عنه أنه قال: ما زال القرآن ينزل بالمنافقين حتى خشينا أن لا يبقى أحد أمين من الصحابة. وسميت المبعثرة لأنها تبعثر أسرار المنافقين وتبحث عنها، كف سميت البحوث، والمدمدمة والحافرة والمثيرة إلى غير ذلك من الأسماء التي تتناسب مع مضامين تلك السورة بكاملها (1). قال تعالى: في معرض التهديد والتوبيخ «منافقين» لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون، عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين». وهذه الآية قد كشفت عن سوء نواياهم، وأشارت إلى المخطط الذي تبنيه ضد الدعوة كما تشعر بعتاب الله للنبي (ص) حيث أذن لهم بالتخلف عنه في بعض غزواته كما تؤكد ذلك الآية التي بعدها. قال تعالى: «لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون، ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عنه، ولكن كره الله أن يبعثهم فنبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً، _____ (1) انظر مجمع البيان طبع صيدا / ج 3 / وغيره من كتب التفسير.